جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة التركية وآدابها

٢٦١٦
٢٨٧٢٨

حضارة الأتراك قبل الإسلام

رسالة دكتوراه

إعداد

الطالب / محمد السيد محمد حماد

٨٩٤,٢٥١
م ٠٣

إشراف

ا.د / أحمد فؤاد متولي
استاذ ورئيس قسم اللغة التركية بالكلية

١٩٩٠

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

صدق الله العظيم

خطة البحث

المقدمـــة :
المدخـــل :

الباب الأول

الدول التى أقامها الأتراك قبل الاسلام وبعده فى أواسط آسيا

الفصل الاول : دولة الهون (هيونغ نو) .
الفصل الثانى : دولة الكوك تـــــرك .
الفصل الثالث : دولـــة الأويغـــــور .

الباب الثانى

الأدب التركى قبل إسلام الـــترك

الفصل الاول : الأساطير التركيـة قبـل الاسلام .
الفصل الثانـــى : الملاحم التركيـة قبل إسلام الترك .
الفصل الثالـــث : المدونات التركية قبل إسلام الترك .

الباب الثالث

الفنون التركية قبل إسلام الـــترك

الفصل الاول : الفن التركى فى عهد الهون (هيونغ نو) قبل الاسلام .
الفصل الثانى : الفن التركى فى عهد الكوك ترك قبل إسلامهـــم .
الفصل الثالث : الفن التركى فى عهد الأويغور قبـل إسلامهـــم .

والله ولى التوفيـــق ..
عليه توكلت وإليه أنيب ﴿﴾

المقدمـــة

تعتبر حضارة الأتراك قبل الاسلام موضوعا على جانب كبير من الأهميـــة وتأتـى هذه الأهمية من عدة نقاط :

أولا : ان هذا الموضوع لم يحظ بعناية واهتمام الباحثين فى مجـــــال الدراسات التركية فى مصر بالقدر الكافـى .

ثانيا : أنه فى الوقت الذى اتضحت فيه معالم الحضارات القديمـة لمعظـــم شعوب العالم ، فإننا نجد أن القضية بالنسبة للترك لازال يشوبهـــا القدر الكبير من الغموض والخلط ، ولذلك كان من الواجب التعـــرض لتلك المقدمات والقاء الضوء عليها .

ثالثا : إن شعوب وقبائل الترك لم تكن شعوبا وقبائل مستقـرة ، بـل كانـت تتحرك باستمرار إما لتوسيع رقعة أرضها ، وإما لدرء الخطـــر عـــن نفسها . وأحيانا كانت هى التى تبدأ بالعدوان لتلبيـة احتياجاتهـا الاقتصادية . لقد بلغت هذه الشعوب حدا من القوة بحيـث كونـــت بعض الحكومات القوية ، وكانت لها سماتها الحضارية المتميزه . كمـــا كانت تلك الأقوام تتسم بكثرتها وتعدد أسمائها مما استدعى أن نفـرق بين الشعوب التركية الأصلية ، والشعوب التى كان الترك يمثلون فيهـا أقليـة صغيرة .

رابعا : ان التقدم السياسى والحضارى الذى وصلت اليه الدولة العثمانية فـى مناطق كثيرة حتى وصلت الى قلب أوربا ، والسياسة الحكيمة الـــتى انتهجها سلاطينها من أجـل فتح البلدان فى الشرق والغرب باسـم الاسلام لجديران بأن نلقى الضوء على مقدمات حضارة تلك الدولـــة ، وتاريخ أقوام الترك ، وكيف بدأت حضارتهم ، وكذلـك كيف ظهر تجمعهم

قبل الاسلام ، وماهية تلك الشعوب ، والسمات التى اتصفت بها ، وكيف كان التحول من مرحلة ماقبل الاسلام الى مابعده .

ولقد اقتضت الدراسة بالطبع القيام بمحاولة للتعرف على هوية الشعوب — المرجح كونها البداية لشعوب الترك — أن نرجع الى شعوب الشرق القديم ، ومواطنها ومحاولة دراستها ، واستنتاج العناصر المشتركة بين مجموعة معينة من هذه الشعوب وترجيح تركيتها ، كما اقتضت الدراسة إقامة العلاقة بين هذه الشعوب وبين مصر الفرعونية .

وتعتبر عملية البدء بشعوب الشرق القديم ومصر الفرعونية ضرورة بديهية ، ذلك أن شعوب وأقوام الشرق القديم — وخاصة شعوب وسط آسيا — كانت هى البوتقة التى انصهرت فيها شعوب الترك القديمة ، وتشكلت دولهم فيها ، ولقد كانت منطقة وسط آسيا — باعتراف المؤرخين والجغرافيين — هى الوطن الأول الذى تمركزت فيه شعوب الترك قبل الاسلام ، وكان لها وجودها الذى شعرت به الشعوب التى كانت تجاورها ، سواء الأسرات الصينية الحاكمة القديمة ، أو الدول الفارسية ، مما اضطر الشعوب التى جاورتهم أن يطلقوا عليهم أسماءا مختلفة ، ولقد كانت دولة الهيونغ نو أول دولة تركية تشكلت وتأسست وازدهرت فى تلك المنطقة .

ومما ساعد على تأصيل هذه الشعوب والعودة بها الى الأصول الاولى بعض الدراسات الأثرية والأنثربولوجية التى قام بها بعض علماء الآثار والأنثربولوجيا ونخص منهم بالذكر العالم والف لنتون فى كتابه شجرة الحضارة ، وكذلك العالم جون جارستانج ودراسته الأصيلة حول الامبراطورية الحيثية ، ومن الجدير بالذكر أن الدراسات التى تخص حضارة شعب مالاتستغنى بأية حال من الأحوال عن التأصيل والتوثيق من خلال علم الآثار وعلم الأجناس اللذين يستندان على دراسة المخلفات والآثار والفنون التى تركتها أمة معينة أو شعب معين .

وأهم المراجع التى ساعدتنى فى إنجاز هذا البحث هى :

(1) Bahaeddin Ö gel: Büyük Hun İmparatorlοğu tarihi, Ankara 1981.

(2) Laszlo Rasonyi : tarihte türklük, Ankara 1971 .

(3) Ziya Gökalp: türk Medeniyeti tarihi, Hazırlayanlar : İsmail Aka, Kazım Yaşar Kopraman, İ stanbul 1976 .

(4) A. Zeki Velidi toğan : Umumî türk tarihine Giriş, İstanbul 1981 .

(5) Joseph Deguines : Büyük türk tarihi, Çeviren: Hüseyin Cahid, İ stanbul 1976 .

(6) Riza Nûr : Türk Tarihi, İstanbul 1982 .

وأخيرا مجموعة من الأبحاث التركية القيمة صدرت فى كتاب من جزئين لمجموعة من المفكرين بعنوان :

Tarihte Türk Devletleri, Ankara 1982

ومن الصعوبات التى واجهتنى خلال فترة إعداد هذا البحث قلة المراجع التركية المباشرة التى تتحدث عن حضارة الأتراك القدماء ووصول القدر الضئيل منها الى يدى .

وكذلك واجهتنى صعوبة أخرى ، وهى من أين أبدأ الحديث عن الترك ، وأى الشعوب أقرب اليهم ، كما أن الشعوب التركية نفسها كانت تتسم بالكثرة . كما أنها لم تكن تقبع فى منطقة واحدة بل كانت دائمة الترحال . وصعوبة أخرى ثالثة تتمثل فى اختلاط الأقوام ببعضها — وأقصد بذلك الإختلاط العرقى

وتداخل الأجناس مع بعضها ، وعلى سبيل المثال فإن أقواما مثل أقوام الطوتغوز لاهى بالتركية ولاهى بالمغولية وإنما هى خليط تركى مغولى ، وكثيرا ماكانت الشعوب الضعيفة والمهزومة تدخل تحت سيطرة الشعوب القوية المنتصرة على هيئة عبيد ، ثم تعيش حياة العبودية داخل نطاق الشعوب المنتصرة .

ومن النقاط التى شكلت صعوبة أخرى فى هذا البحث هى اختلاط التاريخ بالأسطورة ، ووجود اشارات فى الاسطورة تدل على التاريخ ، وما أكثر الأساطير التركية القديمة التى تأثر بها تاريخ الترك ، وبالطبع ليس من السهل استخلاص الحقيقة التاريخية من خلال الأساطير والملاحم المتأثرة أيضا بالأساطير .

إن البحث فى الحضارة موضوع صعب ودقيق ، كما أن البحث الحضارى يستوجب بالضرورة دراسة الفن والآثار القديمة فمن التاريخ والأدب والفن تتكون الحضارة .

ولقد بدأت هذا البحث المعنون بـ" حضارة الأتراك قبل الاسلام "بمدخل عرضت فيه لأقوام وشعوب الشرق القديم ، وهجراتها ومراكز توطنها واستقرارها وكيفية إقامة العلاقة بينها وبين بعضها ، وقد حاولت فى هذا المدخل أيضا ان أتلمس الطريق الى الشعوب التى وجدت بينها وبين الترك عناصر حضارية مشتركة بدءا من القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ورجحت أن هذه الشعوب بينها وبين الأتراك صلة عظيمة ان لم تكن شكلت فى مجموعها أساسا لشعوب الترك القديمة ، وفى نفس الوقت عرضت لما قام بين هذه الشعوب ومصر الفرعونية من صلات فى السلم والحرب ، ولقد تحقق لفراعنة مصر التفوق والسلطان على تلك الشعوب فى فترة ضخمة من تاريخ البشرية .

ولقد قسمت هذا البحث الى ثلاثة أبواب ، وجعلت الباب الاول منها بعنوان الدول التى أقامها الأتراك قبل الاسلام ، وكان الفصل الاول فى هذا الباب بعنوان دولة الهيونغ نو (الهون) ، ولقد كانت هذه الدولة أول دولة تركية

فى آسيا الوسطى كان لها وجود وانتشار شعرت بهما الدول التى كانت تجاورهم حينئذ كدولة الصين والامبراطورية الفارسية ، وكافة الأقوام التى كانت تسكن منطقة آسيا الوسطى . ولقد حكم هذه الدولة عدد كبير من الخانات الذين كانت تطلق عليهم الصين لقب طانهو أو تاتجو أو شان يو . وكانت هذه الدولة تقطن منطقة اورد و (اورد وس) فى الجزء الشمالى الغربى من الصين ، ولقد بلغت هذه الدولة من القوة حدا اضطرت معه الامبراطورية الصينية أن تؤمن نفسها من سطوتها ، فشرعت توا فى تأسيس وتشييد سور الصين العظيم الذى أصبح من عجائب الدنيا السبع .

وكان الفصل الثانى من الباب الأول بعنوان دولة الگوك ترك ؛ وهذه هى الدولة الثانية التى شيدها الترك فى آسيا الوسطى بجوار نهر قديم يسمى نهر اورخون . وهذه الدولة على جانب خطير من الاهمية ؛ فهى أول دولة تسمت باسم تركى صراحةً . وصارت هذه الكلمة علماً على شعوبهم حتى اليوم . وتأتى الأهمية العظمى لهذه الدولة من حيث أنها أول دولة تركية ، تركت للدنيا وللتاريخ مجموعة من النقوش والكتابات بالأبجدية الأورخونية القديمة وجدت بجوار مجرى نهر اورخون القديم . وتأتى خطورة هذه النقوش التى ترجمها العالم الدانمركى طومسن من حيث أنها تؤرخ لدولة الگوك ترك وشعوبها وحكامها ، وفى ذات الوقت فهى تؤرخ لنشأة وتطور اللغة التركية . كما تؤرخ لاول مرة فى التاريخ قرر فيها الترك أن يسجلوا أحزانهم وأفراحهم على الحجارة الصماء ، فتتعاقب عليها الايام والسنون ، ثم تصل فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى عبارةً عن صرخة فى أسماع الترك فتلهب شعورهم القومى .

ولقد حكم دولة الگوك ترك مجموعة من القاغانات (الخاقانات) أو الحكام كان أشهرهم وأعظمهم ايل ته ريش قوتلوق قاغان ، ويلگه قاغان وأخوه كول تكين اللذان عملا على إعلاء شأن دولة الگوك ترك وفرض سلطانها فى آسيا الوسطى فكانت الصين ودولة الفرس والدولة البيزنطية تحسب لها ألف حساب .

أما الفصل الثالث من الباب الاول فقد جاء بعنوان دولة الاويغور ، ولقد كانت هذه الدولة قد تأسست بعد أن علا شأنها ، وقضت على دولة الكوك ترك . ولقد انتعشت الحياة السياسية والاقتصادية فى عهد هذه الدولة بما شهدته من رواج تجارى بينها وبين الصين والدولة الفارسية والدولة البيزنطية . كما أدى انتشار هذه الدولة فى منطقتى طورفان وقانصو بالتركستان الى انتشار الثقافة والحضارة التركية فى جميع أرجاء التركستان . كما تأتى أهمية هذه الدولة من حيث كونها الدائرة الحضارية الأخيرة للترك قبل الاسلام . ومن الجدير بالذكر أن الإسلام بدأ يتوغل وينتشر بين الأويغور وفى منطقة ماوراء النهر . وكان للقيرغيز الأثر الأكبر فى القضاء على دولة الأويغور الذين انفصمت عراهم . وظلت العشائر والأقوام التركية — ونخص منها بالذكر عشائر الأوغوز والتركمان — تدخل فى الدين الاسلامى السمح بل وتتعصب له وتتبهر بتعاليمه ، فتدخل الاقوام التركية فى أول دائرة حضارية فى العصر الاسلامى على يد دولة السلاجقة العظام فى إيران والعراق ودولة السلاجقة فى الأناضول ، ويبزغ من كلتيهما نور الحضارة العثمانية التى سادت فى الشرق والغرب الى أن ظهرت تركيا الحديثة .

وقد جعلت الباب الثانى بعنوان الأدب التركى قبل الاسلام ، وكان الفصل الأول من هذا الباب بعنوان الأساطير التركية قبل الاسلام . وهذا الفصل يعد محاولة للتعرف على الفكر التركى القديم من حيث تحديد عقائد الأتراك القدماء فى الخلق وتفسير الظواهر الكونية ، وإيجاد العلاقة بين الإنسان التركى والكون الذى يحويه . وآداب الشعوب فى العصر الحديث تختلف عناصرها عن العناصر الأدبية والفكرية التى توفرت لدى الشعوب القديمة ، والتى كانت الأسطورة على رأس عناصرها الادبية .

أما الفصل الثانى من الباب الثانى فقد جعلته دراسة حول الملاحم التركية القديمة وأهمية الملاحم تتأتى من حيث كونها تاريخا حقيقيا لبطولات وأمجاد الشعوب ،

وبالرغم من أن الملحمة من حيث الموضوع لا تستغنى عن بعض التأثيرات الأسطورية ، إلا أن الملحمة التركية المسماة ملحمة " آلب ارتونگا " وكذلك ملحمة " شو " تعتبران دليلين دامغين على الوجود التاريخى لأقوام الترك وتأثيرها لدرجة أن الترك يفخرون بها ، ويشيدون ببطولة أبطالهم ومسالتهم ، أى أن الملحمة كانت العنصر الأول المؤثر الذى ربط الفكر التركى القديم بأرض الواقع .

ونحن نجد أن واقع الحياة التركية يتأكد أكثر وأكثر ، وتتضح معالمه وتتحضر حينما يبدأ الانسان التركى فى تدوين تاريخه وأحاسيسه ، والاهتمام بكتابة هذا الواقع الذى نتحدث عنه ، ولهذا كانت نقوش اورخون التركية هى الحروف الاولى فى أول صفحة من صفحات التاريخ التركى قبل دخول الترك فى الاسلام ولهذه الاسباب مجتمعة جعلت الفصل الثالث من هذا الباب بعنوان نقوش اورخون ، ثم قمت بدراسة هذه النقوش ، وذيلت هذه الدراسة بترجمة لها .

واذا كانت الدراسة الحضارية لا تستغنى عن دراسة الفنون والآثار ، فقد جعلت عنوان الباب الثالث من هذا البحث الفنون التركية قبل الاسلام ، وتتأتى أهمية الفنون والآثار من حيث كونها الدلائل المادية على وجود الحضارة ، وان أحدا لم يكن يضفى على مصر الفرعونية واليونان على سبيل المثال تلك المهابة والعظمة الحضارية اذا لم يكن قد تأكد من وجود الفنون التى تدل على ذلك . ولقد جعلت عنوان الفصل الأول من الباب الثالث فنون الترك فى عهد الهيونغ نو (الهون) وحاولت فى هذا الفصل أن أتتبع ماخلفته أقوام الهون من آثار وفنون ، وما استتبع ذلك من تأثير وتأثر مع الدول والامبراطوريات التى جاورتهم ، وكيف كانت سمات هذه الآثار والفنون ، وفى محاولتى لتتبع هذه الآثار تحدثت حتى عن فن هون أوربا الذين كان يطلق عليهم الهون الغربيون بزعامة آتيللا وخلفائه .

أما الفصل الثانى من الباب الثالث فقد جاء بعنوان فنون الترك فى عهد الگوك ترك ، وقد حاولت فى هذا الفصل التعريف بالفنون التركية الصغيرة ، والآثار

التى تدل على الاستخدام المعيشى اليومى ، ولكن الحقيقة العلمية تجعلنا نقول بأن العنصر الفنى البنائى قد تجلى فى آثار اورخون التى دونت عليها النقوش سالفة الذكر ، فقمت بتوصيفها وتحديد معالمها ، ومن الجدير بالذكر أن أجزاء صغيرة من هذه الآثار قد أصابها التلف .

أما الفصل الثالث والأخير من الباب الثالث فقد جعلته بعنوان فنون الترك فى عهد الأويغور ، وقد حاولت فى هذا الفصل التعريف بآثار الأويغور الفنية البوذية ، حيث كانت عقيدتهم هى الديانة البوذية ، وكيف أقاموا المعابد لهذا الدين ، وقد عبر فن التصوير أيضا عن الثروة الفنية فى دولة الأويغور فانتشرت تصاوير بوذا نبيهم المزعوم ، كما انتشرت تماثيله فى كافة أرجاء الدولة الأويغورية ، وذلك طبقا لما أثبتته الحفائر فى منطقة طورفان ، كما تحدثت عن تأثير الفن الصينى والساسانى فى الفن الأويغورى ، وبهذا الفصل تكتمل دراسة الفنون لدى دول الترك الثلاثة لعصر ماقبل الاسلام ، وهى آخر نقطة فى هذا البحث . والله ولى التوفيق ، وإنه " فوق كل ذى علم عليم " صدق الله العظيم . وفى النهاية لا أستطيع إلا أن أوجه شكرى وعرفانى وامتنانى لأستاذى الكبير الأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد متولى على كل ماقدمه لى من توجيه وعون كان لهما الدور الأول والكبير فى خروج هذه الرسالة الى النور والله الموفق والمعين .

المدخـــل

تعبر كلمة الحضارة [1] عن واحة تشمل فى جنباتها كل ما أنتجه الانسان من أدب ، وفكر ، وأخلاق ، وعمارة ، وفنون أخرى لدى شعب معين من الشعوب فى فترة معينة من الزمن .

---

(1) إذا كان علماء الأركيولوجيا يميلون الى اعتبار الزراعة هى البداية الحقيقية لقيام الحضارة بالمعنى الدقيق للكلمة ، فإن علماء الأنثربولوجيا فى القرن الماضى أعطوا جانبا كبيرا من اهتمامهم لتحديد المعايير والمحكات التى يمكن أخذها فى الاعتبار حين الكلام عن نشأة الحضارة وتقدمها وتطورها ، وذهب معظم الأنثربولوجيين إلى أن نشأة الحضارة تتطلب بالضرورة توفر درجة عالية من القدرة والكفاءة على إنتاج الطعام ؛ أى أنهم هم أيضا كانوا يرون أن الأسس الاقتصادية ترتكز على الإنتاج الزراعى ومايتصل بذلك من تقدم فى المجال التكنولوجى وفى مجال القدرات والمهارات الفنية ، وكذلك فى مجال القدرة على تصريف الأمور وإدارتها بشكل غير معهود فى حياة الجمع والالتقاط أو الرعى ؛ فهذه كلها أمور تتصل اتصالا وثيقا ووظيفيا بعمليات الحضارة ، وهذا هو الذى يدفع بعض العلماء إلى القول بأن تقدم الحضارة هو نوع من " التغير الثورى " حسب تعبير عالم الأنثربولوجيا الأمريكى روبرت رد فيلد — وهو تغير نجد صداه فى النظام الأخلاقى وفى أسلوب الأداء الفنى على السواء — فكأن المحكات التى تميز بشكل قاطع بين الحضارة وأشكال الحياة الأخرى الأدنى منها فى المستوى أو المراحل الأخرى السابقة على ظهورها هى فى آخر الأمر محكات ومقاييس إجتماعية وأخلاقية ، وأن التقدم فى الوسائل والأساليب التكنولوجية لايكفى وحده لأن يكون دليلا ومؤشرا على الحضارة ، خاصة وأن بعض الوسائل التكنولوجية ليس له وجود فى بعض الحضارات الأصلية القديمة ، بينما توجد هذه الوسائل والأساليب ذاتها فى بعض المجتمعات الأكثر بداءة وتأخرا نتيجة للإحتكاك والإتصال بالثقافات الأخرى ، وحين يتكلم علماء الأنثربولوجيا عن الحضارة فإنهم يقصدون بها الإشارة الى ثقافة تقف موقف التعارض أو التقابل مع الأفكار والقيم والأوضاع العامة السائدة فى ثقافات الجماعات البدائية ، وعلى ذلك فإن المعنى الدقيق للكلمة يصدق فى نظرهم على النماذج الثقافية التى تتميز بالتغاير والتفاضل ، وليست هذه الفكرة جديدة تماما وإنما نجد بوادرها عند =

وتختلف بعض الآراء فى تحديد معنى الحضارة ، فمنها مايذكر أنها تشمل الرقى فى المدنية التى تستهدف السيطرة على الطبيعة ، واخضاع ظروف البيئة للانسان وكذلك تشمل الرقى فى الثقافة التى يتضمن معناها الاصطلاحى الرقى فى الأفكار النظرية [١] بل ان أشمل تعريف للحضارة هو ماذكره ابن خلدون وهو أنها نمط من الحياة المستقرة ينشىء القرى والأمصار ، ويضفى على حياة أصحابه فنونا منظمة من العيش ، والعمل ، والاجتماع ، والعلم ، والصناعة وادارة شئون الحياة والحكم ، وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية [٢].

ومما يذكر عن الحضارة لدى شعب من الشعوب أنها لاتتطلب بالضرورة لونا من ألوان التقدم فى المدنية والثقافة ، ولكنها فى النهاية هى أسلوب للحياة ، يتخذه شعب معين نهجا له ، فيتميز به فى غيره من الشعوب ، ويتضمن هذا الأسلوب من الحياة الافكار والمعتقدات وطريقة العيش [٣] ، كما أنه ليست هناك مجموعة بشرية — حتى لو كانت أكثر بدائية — ليست لها سمة أو نظام للحياة ، وهو مايمكن أن نسمية الحضارة .

واذا أردنا أن نتعمق فى معنى كلمة الحضارة ، فاننا يجب أن نعقد الصلة بينها وبين احساس الانسان بالأمان والسكينة ، ويتطرق الدكتور أبوزيد شلبى الى هذا الموضوع حيث يقول : إن اجتماع النوع الانسانى أمر ضرورى فليس فى استطاعة إنسان وحده أن يهيىء لنفسه وسائل ارتقائه وتحصيل حاجته ومايتطلبه معاشه إلا بمعاونة أخيه الانسان ، كما لايمكنه أن يدافع عن نفسه

— هربرت سبنسر فى تمييزه بين التجانس Homogenity والتغاير Hetevogenity باعتبارهما محكين لتمييز نوعين من المجتمعات الانسانية : هما المجتمعات غير المتحضرة والمجتمعات المتحضرة . (د. أحمد أبوزيد : الحضارة بين علماء الانثربولوجيا والاجتماع ، مجلة العربى ، العدد ٢٠٨ ، ص ٧٦ الكويت ١٩٧٦)

(١) م٠م شريف : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية ، ترجمة وتعليق ٠ أحمد شلبى ، جـ٢ الفكر الاسلامى منابعة وآثاره ، ص ٢٠ ، ٢١ القاهرة ١٩٧٨ .

(٢) انظر م٠م شريف : نفس المصدر ص ٢١ .

الا بالاستعانة بأبناء جنسه ، وهذا ماعبر عنه الحكماء قديما بقولهم " الانسان مدنى الطبع " فاذا كان الاجتماع والتعاون حصل له التغلب على أمر المعاش والدفاع عن النفس ، واذا ماأطمأن الى ذلك بدأت الحضارة وأخذت فى النمو والازدهار ، وسارت فى طريقها حتى تبلغ مداها . يقول العلامة ول ديورانت : " ان الحضارة تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق ، لانه اذا ما أمن الانسان من الخوف تحررت فى نفسه دوافع التطلع وعوامل الابداع والانشاء ، وحينئذ لاتنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضى فى طريقة الى فهم الحياة وازدهارها " (١) .

ومن الجدير بالذكر أن معظم الكتاب الذين تعرضوا لتعريف الحضارة فى مستهل كتبهم ، قد اعتمدوا على ابن خلدون بصفة أساسية لما لحديثه من أهمية ، ومنهم الدكتور / عبد المنعم ماجد حيث يقول : " وفى رأى ابن خلدون أيضا أن هناك حالة تقابل الحضارة ، هى مايسميه بالملك ، ويقصد به السيادة . فالملك فى رأيه (السيادة) ضرورة لازدهار العمران ، وهذا استدراك حكيم من ابن خلدون يدل على فهمه من أن الحضارة لايكفى أن تكون فى الحضر ، ولكن يجب أن تلازمها سيادة ، وبمعنى آخر نظام واستقرار حتى تنمو وتزدهر وتتطور . ومنذ القدم ، وقد وجدت عنه العرب كلمات فى معنى البداوة والحضر ، مثل الوبر والمدر والحدر والحجر . فالوبر هو صوف الابل والارانب ونحوها من الحيوان الذى يصنع منه البدوى خيامه وملابسه وتعنى أهل البادية ، وقيل أهل الوبر أى أهل البوادى ، أما المدر فهو قطع الطين المتماسك ، وهو مايبنى منه فى القرى أو المدن ليعنى الحضر ، وقيل أهل المدر أى أهل المدن او الحضر فمثلا سمى العرب مصر بالمدرة السوداء كناية عن أنها تتكون من قرى ومدن . والحدر هو الارض المنحدرة التى لايبنى عليها لتعنى البادية ، وعلى العكس فأن الحجر يعنى المدنية ، ولذا وجدنا فى الجزيرة العربية عدة مدن باسم الحجر " (٢) .

---

(١) د . أبوزيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، ص٨ ، القاهرة ١٩٦٤م .

(٢) د . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، ص٩ ، ١٠ القاهرة ١٩٧٨م .